سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الإلكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها علي هذه الأقراص المدمجة قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأقراص المدمجة بعيدا عن الغبار

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

بعض الوثائق الأصلية تالفة

سامية محمد مصطفى

شبكة المعلومات الجامعية

بالرسالة صفحات لم ترد بالأصل

جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الأسلوب
في كتاب الإشارات الإلهية
لأبي حيان التوحيدي

رسالة ماجستير

مقدمة من الباحث
أيمن حنفي سيد موسى

إشراف
أ.د. عبد الحكيم راضي

B
١٣١٨٨

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

مقدمة

في البحث ومنهجه

لعلي لا أكون مبالغاً إذا قلت إن الوصول لقراءة ما تعمل على نص تراثي كالإشارات الإلهية – نص يستمد عناصر ثرائه من جهات متعددة – هي خطوة أخيرة في درب لا بد أن يسلكه صاحب تلك القراءة،تُسْلِمَهُ فيه كل مرحلة للاحقتها،حتى يصل إلى هذا الزعم القرائي الذي يدَّعيه. وهنا أؤكد على فكرة الزعم هذه،كون القراءة التي يرتكز عليها البحث أو حتى قراءات أخرى لمثل هذا النوع من النصوص،تعبر في حقيقة الأمر عن أطر خاصة يصطنعها من يُنذر نفسه لمثل هذه المغامرات البحثية.

الجدير بالذكر أن درجة الاحتمالية هذه ترتفع – وبوجه خاص – مع المؤَلِّف الذي بين أيدينا،نظراً لثرائه الدلالي،واللغوي. تلك الملاحظة التي أشار إليها كثيرٌ ممن اتخذوا الإشارات–أوحتى أبا حيان التوحيدي،ومؤلفاته – موضوعا للدرس.

وهنا يمكن أن أميز بين مرتكزين أساسين في هذا البحث،الفصل بينهما مجرد إجراء نظري بغرض التحديد والإيضاح والشرح،فهما من التداخل،بل والتواشج مما يغري بالقول،بأنهما مركب تفاعلي،لا يمكن البحث في أحدهما بمعزل عن الآخر.

المرتكز الأول في هذا المركب: ما يمكننا وصفه بحالة من التواصلات اللانهائية،التي تصل بين النص (المتن)،ومرجعياته،والتي تمثل في مضمونها؛ مظاهر أو أشكال لانتماءات الإشارات الإلهية،ويركز البحث في هذا السياق على مجموعة من المرجعيات توزعت الإشارات في عدة اتجاهات: منها ما يختص بأبي حيان نفسه بوصفه أحد أهم هذه المرجعيات،ومنها ما يصل النص بانتمائه العقدي؛ أي التصوف في معانيه الروحية والإبداعية،وكذلك الإطار المرجعي الكتابي للنص،وهو النثر الأدبي أوالنثر الفني.

المرتكز الثاني في قراءتنا هذه:هو المنهج (الأسلوبية) والذي يتم فعل القراءة من خلال بعض معطياته،وهنا يجدر القول إن هذه المعطيات أوبالأحرى الإجراءات الأسلوبية،لم تُخْضِع النص لعملية قسرية تطوع الدراسة لصالحها،بل جاءت بفعل القراءة غير المكبلة

بالتصور المسبق لإجراءات أسلوبية معينة في التعامل مع النصوص "حيث لا توجد في التحليل الأسلوبي قواعد متحجرة أو آلية. "[1] الأمر الذي أفرز بدوره إجراءات التعامل مع الإشارات. وقد ساهم في خلق تلك الإجراءات كما هي عليه في الدراسة أمران:

أولهما: ما يتميز به المنهج الأسلوبي من فضفاضية واتساع وتنوع،نظراً لاشتماله على أسلوبيات كثيرة،مما يتيح لنا حرية الحركة في الأخذ والرد والصياغة،بما يتماشى والطبيعة التي يكشف النص بها نفسه لقارئه.

ثانيهما:ذلك الزخم اللغوي والأدبي الذي تفيض به رسائل الإشارات،مما أتاح كثرة المداخل التي تسمح بأن تكون كلها قابلة لصياغة إجراءات أسلوبية،تعمل على نفس النص حتى وإن اختلفت. وللوصول إلى تلك الإجراءات،لا بد أن نمر بخطوات منهجية،تعد بدهيات في العمل الأسلوبي،كأن ننطلق من تعريف لمصطلح الأسلوب،يكون بمثابة بوابة التعامل مع النص أسلوبيًا. فلكلمة أسلوب تاريخها الطويل،سواء في عمق الثقافة العربية أم الغربية،مما جعلها مَعْرِضاً لعدد غير قليل من تنوعات المعنى حيث "ورد على كلمة style (أي أسلوب) كثير من المعاني،حتى صار من الصعب تحديدها بتعريف واحد.وهذا راجع إلى أن هذه الكلمة لا تخص المجال اللساني وحده،بل استُعْمِلت في مجالات أخرى عديدة من مجالات الحياة اليومية والفن:يُتحَدث عن (الأسلوب) في الموضة والفن والموسيقى،وتدبير الحياة،وفي المائدة أوالسياسة...إلخ"[2]. الأمر ينسحب كذلك على مفهوم الأسلوب في الإطار اللساني والنقدي،ففي سبيل الوصول إلى تصور حاسم لمفهوم لمعنى الأسلوب،اتفقت عليه الدراسات التي اهتمت بذلك الجانب بشتى توجهاتها،نكون قد وصلنا إلى محض سراب.حيث كان لتأثير اختلاف المدارس التي اهتمت بالأسلوب والأسلوبية،دوركبير في صنع هذا التباين في النظر للمفهوم الأسلوبي،حيث اختلفت المدارس في منطلقاتها الأساسية:ما بين لسانية وأدبية ونقدية،كما اختلفت داخل أطر المدرسة الواحدة.

١- محمد الهادي الطرابلسي – تحاليل أسلوبية ص ٩

٢- هنريش بليت – البلاغة و الأسلوبية ص٥١

هذا إضافة إلى تلك التقاطعات التي صنعتها الأسلوبية في علاقاتها بكثير من العلوم الأخرى وعلى رأسها البلاغة وعلم اللغة والنحو وعلم الدلالة وعلم النفس والسوسيولوچيا وغير ذلك مما أدى إلى ناتج وفير في تعريفات الأسلوب،التي تصل أحياناً إلى حد التناقض،وطرح أفكار شهدت الكثير من المجادلات مثل (الانحراف – الاختيار وغيرهما). هذا الخلاف يلخصه لنا أحد رواد الأسلوبية في العالم العربي – وبخاصة الأسلوبية الإحصائية – الدكتور سعد مصلوح قائلاً "ويمكن رد الخلافات النظرية حول تعريف الأسلوب إلى مبادئ ثلاثة:

– أولاً:أن من ركّز من الدارسين على العلاقة بين المُنْشِئ والنص،راح يلتمس مفاتيح الأسلوب في شخصية المُنْشِئ،وانعكاس ذلك في اختياراته حال ممارسته الإبداع الفني،وبذلك رأى أن الأسلوب اختيار.

– ثانياً: أن من اهتم منهم بالعلاقة بين النص والمتلقي،التمس مفاتيح الأسلوب في ردود الأفعال والاستجابات التي يبديها القارئ أو السامع حيال المنبهات الأسلوبية الكامنة في النص،ومن ثم رأى في الأسلوب قوة ضاغطة على حساسية المتلقي.

– ثالثاً: أن أنصار الموضوعية في البحث أصروا على عزل كلا من طرفي عملية الاتصال وهما المنشئ والمتلقي،ورأوا وجوب التماس مفاتيح الأسلوب في وصف النص وصفاً لغويًّا".[1]

من هنا يبدو لنا أن ذلك الاختلاف يعكس واقع تعدد مداخل النظر للأسلوب في النصوص،ولعل هذا الأمر بعينه هو ما تقدمه لنا الإشارات الإلهية؛ من حيث كثرة الامكانات الأسلوبية التي تطرحها لقارئها. لكن رغم هذه الاختلافات فإننا نخرج بحقيقة مهمة مفادها "أن الأسلوب لا يمكن دراسته أو بحثه دون أن يرتبط ذلك بعناصر الاتصال ونعني بها:المؤلف والنص والقارئ"[2].

١- د. سعد مصلوح – الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص ٤٥

٢- برند شبلنر – علم اللغة و الدراسات الأدبية ص ٥١

تلك العناصر،قد أولاها البحث اهتماماً – وإن لم يكن بشكلٍ متساوٍ – فهو لم يغفل دور أي منها،فمساحة كل عنصر في الدراسة تبلورت من مدى رؤية البحث لتأثيره الأسلوبي،أولعلاقته المباشرة بالملامح الأسلوبية التي يتم التركيز عليها.

فعنصر المؤلف يحيلنا إلى معطيات خاصة بتفردات أبي حيان التوحيدي الأسلوبية،في الإشارات ذاتها أوفيما سبقها من مؤلفات،حملت نفس القيم الأسلوبية،أوما يشابهها،مما جعلها بمثابة خصائص أسلوبية للتوحيدي دون غيره.

ولعل الحديث عن السياقات السوسيولوجية والتاريخية والسيكولوجية لأبي حيان التوحيدي،يؤكد أهميتها على مستوى خلق هذه القيم،أوالكشف عنها.

أما الاهتمام بالنص ذاته،فهو يحيلنا إلى تبين ملامح النص في عدة عناصر:

الأول: صريح،الأمر الذي ينقلنا إلى تلك البنى الإقناعية والحجاجية ومظاهر الوعظ والخطاب الشَفاهي وغير ذلك من أشكال الخطاب،التي لم تخل منها الرسائل.

العنصر الثاني للنص هو الإيمائي،وأعني به أشكال البنى اللغوية الصوفية الباطنية في رسائل الإشارات،والتي يمكن تقسيمها بشكل مبسط إلى نوعين: الأول اصطلاحي والثاني رمزي.

ولعل الحديث عن أشكال خطابية صريحة،قد يتناقض للوهلة الأولى مع انطباعاتنا عن النص الصوفي،فينصرف الذهن أول ما ينصرف إلى الإيهام والإيماء والعرفانية. مع الوضع في الإعتبار أن فكرة الإيماء والرمز كحالة مسيطرة علي النص الصوفي بشكلٍ طاغٍ تعد أمراً مبالغاً فيه "فالحقيقة أن الطاقة الإيمائية في اللغة لا يمكنها أن تستقل بذاتها،إذ قد يكون تصريحاً بلا إيماء،ولكن يتعذر الإيماء بلا تصريح،ولعل ماهية الأسلوب تتحدد بنسيج الروابط بين الطاقتين التعبيريتين في الخطاب الأدبي: طاقة الإخبار وطاقة التضمين."[1]

ولعل هذا أيضاً ما يجعلنا – رغم الاعتراف بصوفية رسائل الإشارات – لا نتوقف في قراءتنا هذه عند الجانب الباطني الرمزي فقط،بل هناك من أشكال الخطاب المغايرة

١- د. عبد السلام المسدي – الأسلوبية و الأسلوب ص٩٥-٩٦

لذلك،وغير المحملة بكثافة الإيماء،ما يدعونا لضمها كملامح أسلوبية شاركت بنصيب وافر في بناء أسلوب الإشارات ككل.

العنصر الثالث: وهو القارئ الذي يحيلنا إلى حالة التلقي. و ينصب الاهتمام بها في اتجاهين: الأول داخل الإشارات،وهنا يتم النظر إلى ما تحتويه الرسائل من أشكال التلقي الداخلي،وتحديد نوع المتلقي وماهيته وفاعليته في إنتاج الخطاب والأسلوب،وعرض ذلك على معيار منهجي يكشف لنا المزيد من ملامح شخصية المتلقي الداخلي.

أمَّا الاتجاه الثاني: فيرصد المعطيات التي تصل النص بقارئه الخارجي،ومدى اهتمامه برسم صورة هذا القارئ وكيفية تلقيه أو حتى تفاعله مع الرسائل.

هذا الاهتمام بعناصر التواصل الخطابي لا يحدث في حال عزل هذه العناصر عن بعضها البعض،بل هي تناغمات،وتداخلات متواصلة إذ" لا يكون مُخاطِب بدون مُخاطَب وخطاب،كما لا يكون مُخاطَب ولا خطاب ما لم تكتمل أضلاع المثلث."[1]

خطة البحث

جاءت هذه الدراسة في مقدمة،وأربعة فصول،وخاتمة. تناولتُ في مقدمة الدراسة،الأسباب التي تجعل هذا البحث مجرد قراءة نسبية،ضمن عدد غير محدود من القراءات التي يمكن أن تجعل نصاً كالإشارات الإلهية معرضاً لتحليلها. كذلك تطرقَت المقدمة لمرتكزات البحث الرئيسة،وهي كما افترضت؛ أولاً:مرجعيات النص التي أسهمت بشكل كبير في صناعة الملامح الأسلوبية للإشارات،وثانياً: المنهج الأسلوبي والذي يتم مقاربة النص من خلاله،ضمن تصورات تقضي بعدم تقييد الدراسة بقوالب جاهزة،يتم تداولها في معظم الدراسات الأسلوبية التطبيقية التقليدية،وإنما استعنتُ بوجهة النظر،التي تجعل من المنهج صدىً لما يطرحه النص، فالنص يتيح خلق أدوات واجراءات التعامل معه.

١- د. عبد السلام المسدي – الأسلوبية والأسلوب، ص ٧٩-٨٠

أمَّا الفصل الأول فيتكون من تمهيد وخمسة مباحث،وهو بعنوان مرجعيات الأسلوب (أبو حيان والإشارات). والفصل في مجمله يُنَظِّر لطبيعة النسق المرجعي للإشارات في ارتباطه بأبي حيان التوحيدي،بمظاهره الإنسانية والعقدية والمعرفية،ومدى تجسد هذا النسق ككل،على شكل ملامح أسلوبية داخل رسائل الإشارات الإلهية.

المباحث: الأول،والثاني،والثالث تَرْصُد عدة جوانب،يفترض الباحث أهميتها وأولويتها في تكوين هذا الإطار المرجعي الذي ينتمي إليه أبو حيان التوحيدي،وشَكَّل التوحيدي في ذات الوقت جسر التواصل بين هذه المرجعيات وأسلوب الإشارات وهي:

- المرجعية الدينية (الجانب العقدي والروحي لديه).
- غربته.
- أفق الكتابة النثرية لديه (مشابهته بالجاحظ).

أما المبحث الرابع: فيهتم بدرس الإشارات كبناء هيكلي أو نسقي،وهذا المبحث بدوره يمثل تمهيداً للمبحث الذي يليه (الخامس)،والذي يكشف عما يمكن أن تطرحه المرجعيات الثلاث الأُوَل في تفاعلها مع هذا البناء (بناء الإشارات) من ملامح أسلوبية،يتم دراستها في الفصول التي تليه.

الفصل الثاني بعنوان (تشكيل الخطاب)،ويتكون من مقدمة وأربعة مباحث،والفصل في مجمله يتناول مسألة التلقي في الإشارات الإلهية،ما بين داخلي وآخر خارجي،وإمكانات قراءة الإشارات كنص أدبي.

المبحث الأول بعنوان (توجهات الخطاب)،وفيه نحاول البحث عن إجابة لسؤال مهم تطرحه الإشارات بقوة – وكان مثار التفات عدد غير قليل ممن كتبوا عنها – وهو: مَن المتكلم ومَن السامع في رسائل الإشارات؟ ذلك السامع الذي يمثل لدينا حالة التلقي الداخلي المفترضة،والمبحث يعرض لعدة وجهات نظر،تحاول أن تجيب عن هذه التساؤلات.

المبحث الثاني بعنوان (علاقات الخطاب) وفيه يتم الانتقال من رصد الشخصيات المعنية ببث الخطاب وتلقيه،إلى عملية رصدٍ لتلك العلاقات التي تتواصل بها هذه الشخصيات داخل منظومة الخطاب.

المبحث الثالث: يتناول تنظيراً منهجيًّا يجمع أشكال الاتصال داخل الإشارات بالتلقي،كأسسٍ منهجية تُسهم بالضرورة في إعادة النظر لهذه العلاقات وكشفها لنا.

أمَّا المبحث الرابع: وهو بعنوان (فاعلية التلقي) وهنا نعود إلى محور العمل الأسلوبي من حيث رؤية نتائج الدراسة النصية والمنهجية لفكرة التلقي،ودورها في تكوين الملامح الأسلوبية،بل وترشيح بعض إجراءات التعامل الأسلوبي مع النص ومجالات تأثيره،علماً بأن فكرة التلقي بشكل عام – علاوة على قيامها بالوظائف سالفة الذكر – تمثل في حد ذاتها ملمحاً مهماً من ملامح التميز الأسلوبي في الإشارات الإلهية.

الفصل الثالث بعنوان (استراتيجيات الإقناع والحجاج).

وهذا الفصل يمضي بنا قُدماً في سبر أغوار المناطق الأسلوبية البارزة في الإشارات الإلهية،وهو لا يُعنى بملامح أسلوبية جزئية أو مشتتة،وإنما يدرس حالة متكاملة،يمكن أن نطلق عليها (الإقناع الخطابي). ولعل فكرة الإقناع تلك ذات صلة وثيقة بعملية التلقي المشار إليها في الفصل السابق. ترصد المباحث: الأول والثاني والثالث والرابع،بعض هذه الاستراتيجيات الإقناعية التي يكثر استعمالها عن غيرها في الإشارات الإلهية،وهي بالترتيب: التفنيد– التقسيم–الاستشهاد– الاستدراج.

الفصل الرابع والأخير وهو بعنوان (خصوصية الاستخدام)،والفصل يتناول عدداً من مظاهر الأسلوب،يكشف كل مظهر منها عن بُعد معين في تشكيل خطاب الإشارات،وبالتالي أسلوبه.

١– المبحث الأول بعنوان (ثنائيات الخطاب الوعظي في الإشارات). وهنا يُنظَر إلى خطاب الإشارات في صورته الخَطابية المباشرة،والتي توجد جنباً إلى جنب مع الخطاب الإيهامي أوالرمزي دون أن ينفي ذلك صفة النص الصوفي عن الإشارات الإلهية،وتمثل

حالات الثنائيات الخطابية الملمح الأسلوبي الذي ينعكس هذا الشكل الخطابي من خلاله،والتي تُدْرَس في تنوعها،وتعدد حالاتها.

٢- المبحث الثاني بعنوان (التصاعد الكلامي): وفيه نتناول ظاهرة أسلوبية ذات طبيعة بلاغية شهدت إلحاحاً على استخدامها في النص،هي ظاهرة التصاعد الكلامي، والتي اتسمت بالفرادة والتنوع في استخدامها وكثرة هذا الاستخدام،مما يُغري بالنظر إليها كملمحٍ أسلوبي قابل للدرس.

٣- المبحث الثالث بعنوان (خصوصية الرمز): وفيه ينتقل البحث من الشكل المباشر(الوعظي) الذي ظهر لنا في المبحث الأول،إلى نقيضه الإيمائي أو الرمزي،والذي لم يشغل حيزاً كبيراً في رسائل الإشارات،وإنما اقتصر استخدامه على مناطق بعينها،تدور كلها في فلك التجربة الصوفية الذاتية للمتكلم. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى رغبة المتكلم في إظهار الطابع التعليمي والحِكَمي،نظراً لاهتمامه وحرصه الشديد على التواصل مع المتلقي،دون أن يقف غموض الرمز وترجيحات التأويل ومشقته،عائقاً أمام هذا التواصل.

أمَّا خاتمة البحث،فتتضمن أهم النتائج التي ظهرت لنا،على مدى الدراسة،والتي لا تشمل – بالضرورة – كل ما جاء في البحث من موضوعات.